

مقتدى الصدر يتجرع «سم الانتخابات» سعيًا لتحقيق حلمه بحكم العراق

رجل دين محدود الأفق يتوهم العبقرية ويتطفل على عالم السياسة



حلم قديم يراود «الزعيم»

بالانزواء والكف عن ممارسة العمل السياسي الإحياء بأنه مهم جدا لدى الشارع العراقي وبأنه لا غنى عن دوره، فيما الغالبية العظمى من العراقيين، وخصوصا من جيل الشباب، ترى أن الصدر وأمثاله من رموز الإسلام السياسي بفرعيه الشيعي والسني يجب أن يتركوا البلد وشأنه بعد أن قادوه إلى وضع لم يكن أغلب العراقيين تشاؤما يتصورون أن يبلغه وهو الذي يمتلك مقدرات مادية وبشرية ضخمة غير متوفرة لكثير من بلدان العالم.

ومن المفترض أن الصدر منسحب من الحياة السياسية منذ ما لا يقل عن ست سنوات بناء على قراره المعلن في فبراير 2014 عندما قال إنه سيعتزل العمل السياسي ويغلق مكاتبه ويحل تياره، في قرار أذهل أتباعه والمنتخبين لتياره والعالمين في مكاتبه.

الصدر نموذج عن رجال الدين والسياسيين غير المؤهلين الذين صعدوا إلى واجهة العملية السياسية المنفلتة من ضوابط العقل والمنطق

وتشمل قرارات الصدر المتقلبة أيضا نزاعه العسكرية التي حملت بادئ الأمر اسم جيش المهدي قبل أن يعلن عن تجسيد نشاطه ليعود سريعا في شكل ميليشيا تحمل اسم سرايا السلام التي لم تسلم بدورها من قرارات الحل السوري وتجميد النشاط لفظيا دون تطبيق عملي، إذ لا يمكن لزعيم التيار الصدري أن يتخلى عن «مخبله» في غابة من الإخوة الأعداء ومن بينهم من هو أصلا منسحق عنه مثل قيس الخزعلي زعيم ميليشيا عصائب أهل الحق. وبالنسبة للغالبية العظمى من العراقيين فإن الصدر ليس سوى نموذج عن جملة من رجال الدين والسياسيين الذين أتبع لهم، رغم محدودية آفاقهم وافتقارهم للمؤهلات، أن يتقدموا إلى واجهة العمل السياسي في بلد بحجم العراق وقيمته، وذلك بفعل التداخل الشديد في العملية السياسية وافتلاتها من ضوابط المنطق والعقل.

استثناء من كل من شاركوا في تجربة الحكم الفاشلة بكل المقاييس، محاولا الإحياء بأنه مهم لدى رجل الشارع وبأنه مطلوب من قبله ليقود عملية الإصلاح، فيما الشعارات التي رفعت خلال الانتفاضة الشعبية واستهدفت بشكل مباشر تؤكد عكس ذلك، خصوصا بعد أن انخرط عمليا في قمع المحتجين من خلال ميليشيا أنشأها للغرض.

نموذج عن وضع أشمل

خلال الانتفاضة حاول الصدر اتباع أسلوبه التقليدي في إخماد فورات الغضب الشعبي من خلال اختراق الحركات الاحتجاجية من الداخل عن طريق اتباعه والاستيلاء عليها وتبريدها تدريجيا، لكنه فشل هذه المرة بعد أن أصبحت «لعنته» مكشوفة للشارع الغاضب والعازم على التغيير بأي ثمن. وانضم التيار الصدري بامر من زعيمه إلى موجة الاحتجاجات غير المسبوقة وسجل حضوره إلى جانب المحتجين في ساحات الاعتصام والتظاهر بمدن جنوب ووسط العراق. إلا أن الصدر انقلب فجأة على المظاهرات وسحب أنصاره من الساحات وانضم إلى القوات الأمنية في قمعهم باستخدام ذراع جديدة أنشأها للغرض تحت مسمى القبعات الزرق.

وفسرت مصادره عراقية ما أقدم عليه بسعيه إلى تسلم زعامة العراق بتقديم نفسه لإيران المعنية بتواصل حكم أتباعها في البلاد باعتباره الأقدر على إنقاذ النظام من ورطته وحمايته من خطر السقوط عبر إنهاء الانتفاضة الشعبية. لكن تبين للصدر خطاه الفادح الذي كلفه خسارة الشارع دون أن يتمكن من إنهاء الانتفاضة. وأصبح رجل الدين الذي كان يعرض نفسه «نصيرا للفقراء والمظلومين» هدفا لشعارات المظاهرات المرفوعة ضده والمتهمة له بالخيانة. ولم يعد أغلب العراقيين يحملون على محمل الجد قرارات الصدر وخصوصا إذا تعلق الأمر بـ«انسحاباته» من الحياة السياسية و«حل» الميليشيا التابعة له، دون أن يطبق ذلك على أرض الواقع. ويريد الصدر من خلال إعلانه عدم المشاركة في مناسبات سياسية واستحقاقات انتخابية، وكذلك تلويحه

الذي طالب به المحتجون خلال انتفاضة أكتوبر ووسيلة للاستجابة لمطالبهم، لكن المعلنين على تفاصيل المشهد السياسي في العراق، يقللون من أهمية التغييرات التي يمكن أن تدخلها صناديق الاقتراع على ذلك المشهد، متوقعين أن تحدث انتخابات يوينو القادم تعديلات سطحية طفيفة لا تمس جوهر العملية السياسية الموصومة بالفشل والفساد، ذلك أن القوى الرئيسية التي قادت البلد طيلة السبع عشرة سنة الماضية هي نفسها المؤهلة للتنافس في الانتخابات والفوز بها نظرا لامتلاكها للمال والسلطة اللذين أثبتا أنهما جزء رئيسي لا غنى عنه في كل المناسبات الانتخابية في العراق، حتى وإن تم إجراء الانتخابات القادمة بقانون انتخابي أدخلت عليه تعديلات جزئية لا تسدو كافية لإنهاء ظاهرة التزوير والتلاعب بإرادة الناخبين.

ويقول المعارضون الأكثر راديكالية لنظام المحاصصة القائم بقيادة الأحزاب الدينية، والمطالبون بتغييره جذريا، إن إقرار الانتخابات المبكرة لم يأت كحل للمعضلات التي انتفض بسببها الشارع العراقي، بل كوسيلة لإنقاذ النظام وضمان تواصله. ومن هذا المنطلق يرى هؤلاء أن أي تغيير في الوجوه المتصدرة لتجربة الحكم الفاشلة، كان يحقق مقتدى الصدر حلمه في الإمساك بزمام السلطة التنفيذية على حساب خصومه القدامى من رموز وقادة العائلة السياسية الشيعية، لن يكون مؤثرا في سياق الإصلاح الشامل المطلوب لأوضاع الدولة العراقية.

ويدرك الشارع العراقي ببطرته أن الصدر غير مختلف عن مجمل الطبقة السياسية الفاعلة في المشهد العراقي منذ 2003 ولذلك لم تستثن مجاميع الشباب التي قادت موجة الغضب العارمة في الشارع العراقي آيا من رموز النظام القائم من قادة أحزاب وميليشيات مسلحة ومن ضمنهم الصدر نفسه الذي حرص دائما على أن يصور نفسه باعتباره

غير المسبوقة التي شهدتها مدن وسط وجنوب البلاد بدءا من شهر أكتوبر من العام الماضي وقد استمرت حتى أدت إلى سقوط حكومة رئيس الوزراء السابق عادل عبد المهدي وتشكيل حكومة جديدة بقيادة مصطفى الكاظمي غير المنتمية للأحزاب التي قادت العراق منذ سنة 2003 وانصب عليها غضب المنتفضين باعتبارها مسؤولة عن الأوضاع بالغة السوء التي انتهت إليها الدولة العراقية. ويتم الترويج للانتخابات المرتقبة باعتبارها فرصة مواتية لإحداث التغيير

الرجل «سيخا» العراق «من الفساد والتعنية والانحراف»، مضيفا «الدين والمذهب والوطن في خطر وكلهم راع وكلهم مسؤول عن رعيته». ونقل حساب فيسبوك التابع لصالح محمد العراقي، الذي يُرجَّح أنه اسم مستعار للصدر نفسه، «حوارا» بدا مفبركا بطريقة سطحية ومرتجلة هدفها الوحيد تبرير تراجع زعيم التيار الصدري عن قراره بشأن الانتخابات المبكرة، وقال الصدر خلاله «إنني أتجرع السمّ حينما أفكر في دخول الانتخابات المقبلة.. وأتجرع الولايات فيما إذا قررت عدم دخولها علنا».

وأضاف «سيفولون إنني متذبذب القرار في الدول بالانتخابات، فقد صرحت بعدم دخولها واليوم قد غيرت رأيي»، مستدركا بالقول «إنني إلى الآن لم أقرر الدخول. بل وإن قررت عدم الدخول والخوض فيها، لكن على جميع المحدين التهيؤ لها على كل حال».

لكن العراقي كشف من جهة مقابلة أن زعيم التيار الصدري لا يعززم فقط المشاركة في الانتخابات بل يريد من خلال خوضها الفوز بامتياز بتشكيل الحكومة، معتبرا أنه يتوفر على الشروط التي تؤهله لذلك. وكالمعتاد جنح مقتدى الصدر إلى الإيهام بأن دوره ضروري للعراق قائلا في حوار المصطنع «هذه المرة ليس العدو هو الفساد فحسب لكي أتجنبهم ولا ندخل معهم في الانتخابات، بل هناك من يريد إزاحة العراق عن منزلته الدينية والعقائدية والاجتماعية فيبيحون الحرام وينشرون الفساد ويطلبون العدو ويتقبلون الفواحش ويقتنون الزواج المثلي وينشرون المجون والتمالة تحت غطاء الحرية والديمقراطية».

بنس التغيير

سيكون العراق في السادس من يونيو القادم على موعد مع

انتخابات نيابية مبكرة تعتبر نتاجا للانتفاضة الشعبية

